التراث العربي
سلسلة تصدرها وزارة الإعلام
في الكويت
- ٣ -

المصون في الأدب

تأليف
أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري
المتوفى سنة ٣٨٢ هـ

تحقيق
عبد السلام محمد هارون

(طبعة ثانية مصورة)

مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤

التراث العربي
سلسلة تصدرها وزارة الإعلام
في الكويت
- ٣ -

المصون في الأدب

تأليف

أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري
المتوفى سنة ٣٨٢ هـ

تحقيق
عبد السلام محمد هارون

(طبعة ثانية مصورة)

مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

عُني علماء العرب بالنقد الأدبيّ في تاريخٍ مُبكّرٍ ، فوصل الينـا أوّلاً بطريق الرواية الشفوية في القرن الأول والقرن الثانى ، ثم بطريق الكتب التى ألّفهـا منذ القرن الثالث ثعلب وابن المعتزّ وقدامة بن جعفر . وقد كانت هذه الروايات والمؤلّفات النقديّة وسيلة لتقويم الأساليب الأدبيّة وصقل الأذواق . فقد تناول العلماء في نقدهم الشعراء فجعلوهم طبقات ، ثم نقدوا إنتاجهم ، وحدّدوا معنى « الفن الشعرى » الذى سمّوه « صناعة الشعر » ، وقد جمع نقدهم اللفظ والمعنى معـاً ، بل ذهبوا في نقد المعانى مذهبـاً أبعد ، فأرخوا لهـا ، فذكروا أوّل من ابتكر المعـنى ومَنْ أخذه عنـه ، ومَنْ أضاف اليه فحسّنه أو نقص منه فردّه رديئا . وهذه ناحية تفرّد بهـا الأدب العربى ونُقّاده القُدامى .

هـذا الكتاب الذى نقدمه اليوم هو كتاب نادر في نقد الشعر ، لم يعرفه أحدٌ قبل اليوم ، ولم ينوّه به الأدباء والدارسون المُحْدَثون . ألّفه أبو أحمد العسكرى المتوفي سنة ٣٨٢ هـ وسمّاه « المصون » ، كأنه يشير إلى نفاسته . وكنا عثرنا عليه في الاسكوريال عام ١٩٥٤م ، ورأينا يومئذ أنه من الأصول الجيّدة التى ينبغى أن تظهر للعلماء . ثم واتت الفرصة ؛ فكان من جملة

الكتب التي اختارتها دائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت لكي تحقق وتنشر . ذلك لأن الكتاب المعروف في النقد وهو « الصناعتين » قد اعتمد عليه واستقى منه . فكان أبو أحمد العسكري سبّاقًا إلى طرق هذا الموضوع قبل أبي هلال العسكري، وكان « المصون » مصدرًا من مصادر « الصناعتين »، و« ديوان المعاني » كما أشار إلى ذلك بحق محقق الكتاب الأستاذ عبد السلام هارون .

ولا شك أن هذه الأصول التي أُلّفت في القرون الخمسة الأولى ، هي التي ينبغي تقديمها ونشرها ، لأنها المصادر الأصيلة لثقافتنا العربية والاسلامية .

*

ومحقق الكتاب ، الأستاذ عبد السلام هارون ، مشهور معروف . وهو من السبّاقين في مضمار تحقيق النصوص . نشر عددًا كبيرًا من أُمّات الكتب، كالحيوان للجاحظ ، والاشتقاق لابن دُرَيْد ، والحماسة للمرزوقي ، وخزانة الأدب للبغدادي ، والمفضّليّات ، والأصمعيّات ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس . وأصدر مجموعة من الرسائل المخطوطة النادرة ، قارب عددها الثلاثين ، فآثاره تدلّ على علمه وفضله . وقد قبل ، عندما اقترحنا عليه تحقيق هذا الكتاب ، أن يضيف إلى آثاره القيّمة أثرًا جديدًا شأنه كبير وأصالته واضحة .

فلعلّ هذا الكتاب يكون مرجعًا للباحثين في النقد الشعري عند العرب ، ولعلّه يكون أيضًا معلّمًا للأدب وصاقلاً للأذواق لمن شاء أن يكون أديبًا حقًا . فمثل هذه الكتب هي التي تصنع الأدباء قبل كل شيء .

صلاح الدين المنجد

القاهرة ١٩٦٠

مقدمة المحقق

أبو أحمد العسكرى :

هو أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن زيد بن حكيم العسكرى . ونسبته إلى عسكر مُكرَم، وهو بلد مشهور من نواحى خوزستان . ومكرم هذا هو مكرم بن مغراء بن الحارث ، أحد بنى جَعْونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة .

ويلتبس اسمه باسم تلميذه أبى هلال العسكرى ، واسمه أيضا الحسن بن عبد الله[1] ، توافق اسماهما واسم والديهما . وقد روى بعضهم أن أبا هلال كان ابن أخت أبى أحمد[2] .

وكان أبو أحمد عالما فاضلا ، راوية متقنًا ، موصوفا بالعفة ؛ وكان يتبزّز — أى يبيع البزّ من الثياب — احترازًا من الدناءة والتبذل . وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

ولد أبو أحمد سنة ٢٩٣ وتوفي سنة ٣٨٢ .

شيوخه وتلاميذه :

وقد روى العسكرى عن أبى بكر بن دريد وطبقته من العلماء . كما روى عن أبى بكر محمد بن يحيى الصولى ، كما يظهر ذلك بكثرة في هذا الكتاب وكما نقل أبو هلال في ديوان المعانى وفي الصناعتين . فالصولى شيخ أصيل لأبى أحمد وإن كان قد غفل عن ذلك المترجمون له .

(١) أبو هلال العسكرى هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى . توفي سنة ٣٩٥.

(٢) ياقوت ٨ : ٢٦٣ .

وروى أبو أحمد أيضا عن أبي القاسم البغوى ، وأبي داود السجستانى ، ونفطويه ، وأبي جعفر بن زهير ، وأكثَرَ عنهم وبالغ في الكتابة . وبقى حتى علت به السّن واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان ، وانتهت إليه رياسة التحديث والإملاء للآداب والتدريس بقُطر خوزستان ، ورحل إليه الأجلاء للأخذ عنه والقراءة عليه .

وكان يملى بعسكر مكرم وتستر ومدن ناحيته ما يختاره من عالى روايته عن متقدمى شيوخه .

فروى عنه أبو عباد الصائغ التستَرى ، وذو النون بن محمد ، والحسين ابن أحمد الجهرمى ، وابن العطار الشروطى ، وأبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله بن الخليل المالينى ، وأبو الحسين محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازى شيخا أبي بكر الخطيب البغدادى ، وكذا الحافظ أبو نعيم الأصفهانى وخلق سواهم لا يُحصَون كثرة .

وأخصُّ تلاميذه به في الأدب والنقد هو أبو هلال العسكرى . والمتصفح لكتاب أبي هلال : ديوان المعانى (١) يلمح رواية واسعة لأبي هلال عن شيخه أبي أحمد الذى يروى عن شيخه أبي بكر الصولى ، وكذا يجد هذا متصفح أوائل كتاب الصناعتين لأبي هلال .

أبو أحمد والصاحب ابن عباد :

وقد لمع أبو أحمد في عصر الصاحب ، وكان الصاحب أبو القاسم إسماعيل ابن عباد يتمنّى لقاءَ أبي أحمد العسكرى ويكاتبه الفينة بعد الفينة ، ويستميل قلبه فيعتلُّ عليه هذا بالشيخوخة وعلوّ السن ، فلما يئس منه احتال في أن يوفده السلطان إلى ناحية عسكر مكرم ليحظى بلقاء هذا الشيخ ، فقال لمخدومه

(١) نشره القدسى في سنة ١٣٥٢ في جزأين .

مؤيد الدولة بن بويه : « إن عسكر مكرم قد اختلّت أحوالها وأحتاج إلى كشفها بنفسي » . فأذن له مؤيد الدولة فسافر إلى عسكر مكرم وتوقّع آن يزوره أبو أحمد ، ولكن أبا أحمد لم يزره فكتب إليه الصاحب :

ولما أبيتم أن تـــزوروا وقلتُـــم ضعُفنا فلم نقدر على الوخَدانِ
أتيناكُم من بُعد أرضٍ نزوركم وكم منزلٍ بِكرٍ لنـــا وعَوانِ
نسائلكم هل من قِرىً لنزيلكم بملء جفونٍ لا بملء جفـــانِ

وكتب مع هذه الأبيات شيئا من النثر ، فجاوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله ، وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور :

أهُمُّ بأمر الحزم لـــو أستطيعه وقد حِيلَ بين العَير والنَّزَوانِ

فلمّا وقف الصاحب على الجواب عجب من اتّفاق هذا البيت له ، وقال : والله لو علمت أنّه يقع له هذا البيت لما كتبتُ إليه على هذا الرويّ .

ويذكرون أنه بعد أن كتب هذا الجواب نهضَ وقال : لابدّ من الحمل على النّفس ، فإنّ الصاحب لا يُقنعه مثل هذا ! فركب بغلةً وقصده فلم يتمكّن من الوصول إلى الصاحب لاستيلاء الحشَم ، فصعِد تلعةً ورفع صوته بقول أبي تمام :

مالي أرى القبّة الفيحاء مقفـــلةً دوني وقد طال ما استفتحت مقفلَها
كأنّها جنـــة الفردوس معرضـــة وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلَهـــا

قالوا : فناداه الصاحب : ادخلها يا أبا أحمد ، فلك السابقة الأولى . فتبادر إليه أصحابه فحملوه حتّى جلس بين يديه ، فسأله عن مسألة فقال أبو أحمد : « الخبيرَ صادفت » فقال الصاحب : يا أبا أحمد ، تُغرِب في كلّ شيء حتّى في المثل السائر[1] . فقال : تفاءلت عن السقوط بحضرة مولانا :

---

(١) أصل المثل : « على الخبير سقطت » .

وبذلك زادت منزلته عند الصاحب . ونال منه أوفر حظ ؛ وأدرّ عليه وعلى المتصلين به إدرارًا كانوا يأخذونه إلى أن توفي .

وقد رثاه الصاحب بقوله :

قالوا مضى الشيخ أبو أحمد وقد رثوه بضروب النُّدَب
فقلت ماذا فقدُ شيخٍ مضى لكنّه فَقْدُ فنون الأدب

كتبه :

ذكر المترجمون منها :

١ — التصحيف والتحريف ، وهو أشهر كتبه ، وقد طبعت قطعة منه سنة ١٣٢٦ . وعلمت أن الكتاب يعاد طبعه الآن كاملا في مصر .

٢ — تصحيح الوجوه والنظائر .

٣ — الحكم والأمثال .

٤ — راحة الأرواح .

٥ — الزواجر والمواعظ .

٦ — علم النظم ؛ وسماه ياقوت صناعة الشعر .

٧ — ما لحن فيه الخواصّ من العلماء .

٨ — المختلف والمؤتلف ، في مشتبه أسماء الرجال .

٩ — الورقة ذكره أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ١ : ٢٨

وانظر لترجمة أبي أحمد العسكري هذه المراجع :

إنباه الرواة للقفطي ١ : ٣١٠ — ٣١٢

أنساب السمعاني ٣٩٠

بغية الوعاة للسيوطي ٢٢١

تاريـــخ ابن الأثـــير ٧ : ١٨٨
تاريخ أبي الفـــداء ٢ : ١٣٣
تاريخ ابن كثير ١١ : ٣٢٠
خزانة الأدب ، للبغـــدادى ١ : ٩٧
ابن خلـــكان ١ : ١٣٢
روضـــات الجنـــات ٢١٦
شذرات الذهـــب ٣ : ١٠٢
كشف الظنون ٤١١ ، ٦٧٥ ، ٨٢٩ ، ٩٥٦ ، ١٥٤٨ ، ١٦٣٧
مرآة الجنـــان ٢ : ٤١٥
معجـــم الأدباء ٨ : ٢٣٣ — ٢٦٧
معجـــم البلدان ٦ : ١٧٦
النجـــوم الزاهـــرة ٤ : ١٦٣

الـــكتاب المصـــون

لم أجد من ذكره في ثبت كتبه ، ولـــكن الكتاب بسنده وروايته وما فيه من النصوص التى استوعب معظمها تلميذه أبو هلال في ديوان المعانى ينطق بأنه كتاب أبى أحمـــد .

ونسخة الأصل التى نشرنا منها هذه النسخة نسخة وحيدة محفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم 377 ، اهتدى إليها الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد ، وتكرم مشكورًا فكلّفنى تحقيقهـــا عن صـــورة محفوظة في معهـــد المخطوطات بجامعة الدول العربية؛ بعد أن اعتمدت دائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت تحقيقه ونشره ضمن سلسلة التراث العربى التى اضطلعت بها خدمة منها للثقافة العربية .

وعلى صدر هذه النسخة تمليكات خمسة كلها غير واضح القراءة ، كما يرى في مصورة صدر الكتاب الملحقة بهذا التقديم .

والكتاب مخطوط بخط نسخي واضح مع الضبط والتقييد التام ، ولم يعرف كاتب النسخة وإن كان الخط وقاعدته يوحي بأنه من رجال القرن السابع .

وجاء في ختام النسخة : « تم الكتاب المصون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم كثيرا » .

ويعدّ أبو أحمد العسكري في الرعيل الأول من كتّاب النقد .

وقد بدأ أبو أحمد كتابه بفصول في نقد الشعر ، وهو يردّ معايير النقد إلى الذوق الشخصي والإحساس الفني ، ويرى أنه لا علاقة بين النقد والإنتاج « فقد يقول الشعر الجيد من ليس له المعرفة بنقده، وقد يميّزه من لا يقوله ».

وينقل من أقوال الأدباء قول الجاحظ : « أجود الشعر . . » وقول ابن الأعرابي وغيره في « التضمين »

كما ضمّن كتابه موازنات بين الشعراء : هذا أشعر أم ذاك؟ ولم؟ ثم يجرى على نهج كان سائدا عند النقّاد الأوائل إذ يقولون : أحسن ما قيل في اللون كذا ،وأحسن ما قيل في السنّ أو العين أو الرثاء أو الهجاء أو المدح ، أو الماء أو السّيل أو الدّرع كذا .

ويعقد فصلاً لأحسن ما قيل في الأوصاف والتشبيه ، وفصلا لما يستحسن من تشبيهات شاعر عصره عبد الله بن المعتز (1) ، وفصلاً لما وقع من مليح التشبيه للمحدثين ، مع موازنة تلك التشبيهات بتشبيهات الأقدمين .

ويقسم تشبيه العرب إلى أربعة أضرب : تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ،

---

(1) ولد ابن المعتز سنة ٢٤٦ وتوفي سنة ٣١٥ .

وتشبيه مقارب ، وتشبيه يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه .

ويعقد كذلك فصلا للتشبيهات العجيبة ، وللتشبيهات المشهورة ، وللسرقات الشعرية وتسلسل المآخذ ، ثم يمدنا بمختارات من جيد الشعر مقرونة بتفسيرها ، وبأشعار أخرى قصد بها أصحابها المعاياة ، ولا سيما قصيدة ذى الرمة الرائيـــة .

ولا يقصر جهده في النقد على نقد الشعر ، بل يسرد لنـــا فصولاً من النثر ، ونماذج من الكتب والجوابات والمخاطبات ، وكلام الأعراب وأهل البـــادية ، والفصحـــاء من الخلفـــاء والوزراء والأدباء ونمـــاذج أخرى من التوقيعـــات .

والـــكتاب يعد بحق في طليعة كتب النقد العربى ، كما يعد أبو أحمد من مؤسسى المدارس النقدية الأولى ، ويكفيه فخرًا أن يكون شيخا لأبى هلال العسكرى زعيم المدرسة النقدية المعروفة .

عبد السلام محمد هارون

كتاب المصون

يشتمل على أبواب شتى من الأدب

تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري

الحمد لله

من كتب الفقير إلى الله عبد القادر ...

غفر الله له ولجميع المسلمين

حسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن حكيم العسكري أبو أحمد اللغوي العلامة قال السلفي كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتبحر في فنون الفهوم سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها من أبي القاسم البغوي وأبي بكر بن دريد ونفطويه وأكثر وبلغ في الكتابة واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان وانتهت إليه رياسة التحديث والإملاء للآداب والتدريس بقطر خوزستان ورحل إليه الأجلاء، روى عنه أبو نعيم الأصبهاني وأبو سعد الماليني وصنف شرح التصحيف الحكم والأمثال راحة الأرواح وكتاب المختلف والمؤتلف وكتاب في المنطق وكتاب الزواجر وغير ذلك

من ترجمة النحاة للسيوطي